

(شهادة الألسن والأيدي والأرجل والجلود

على الناس بما يفعلون)

الأيدي وتكلمها والأرجل والأسماع والأبصار والجلود وشهادتها

ما قاله المفسرون في ذلك

قال تعالى في سورة النور ٢٤ (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) وقال في سورة ياسين (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وقال في سورة السجدة (حتى إذا ما جازوا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون).

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات ما نصه (اختلف الناس في كيفية شهادة هذه الأعضاء على ثلاثة أقوال (أحدها) إنه تعالى يخلق العقل والفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه.

(ثانيا) أنه تعالى يخلق في تلك الأعضاء الأصوات والحروف الدالة على تلك المعاني كما خلق الكلام في الشجرة لموسى عليه السلام. (ثالثها) أنه يظهر في تلك الأعضاء أحوال تدل على صدور تلك الأعمال من ذلك الإنسان وتلك الأمارات تسمى شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه) انتهى.

وقال محيي الدين بن العربي في تفسيرها ما نصه (تغير صورة هذه الأعضاء وتصور بصورة وأشكال على هيئة الأعمال التي ارتكبتها وتبدل جلودهم وأبشارهم فتتطرق بلسان الحال وتدل الأشكال على ما كانوا يعملون) انتهى.

(ما أفهمه في ذلك)

(مع بيان أن هذه الآيات تشير أيضا إلى الفوتوغراف والراديو

والتلفزيون التي تتكلم في هذه الأزمان وتسجل أقوال

الإنسان وكلماته وحر كاته وتنقلاته فتشهد

عليه في المستقبل بما قاله وعمله

من حسن أو قبيح)

أقول يحتمل أن تكون شهادة هذه الأعضاء على الأعمال إنما هي كناية عن أن كل عمل من الأعمال القبيحة التي عملها كل عضو من أعضاء الإنسان سيعترف بها الإنسان يوم القيامة اعترافا لا شبهة فيه ولا تردد كان كل عضو قد شهد بما فعله أو قاله. وهذا المعنى بهذا الشكل وبهذه الألفاظ مستعمل في اللغة العربية كثيرا بل وفي

اللغة العامية أيضا كما يقال (لا تتكلم على زيد لأن لهذه الحيطان آذانا تسمع فتبلغه ما قلت) أو كما يقال (إن مجلسك في موضع كذا يشهد عليك بما قلت أو فعلت) وهكذا فإنه لا يفهم أحد من هذه العبارات أن الحيطان قد خلق الله فيها سمعا وأن المكان قد خلق فيه نطقا فشهد عليه وإنما يفهم منه أن ما قاله أو فعله أمر قد عرف وفهم تماما كأن الحيطان التي قد تكلم بينها قد سمعته وكان المكان الذي كان جالسا فيه قد شهد عليه. وهذا إنما يقصد به المبالغة في ظهور ومعرفة ما فعله الإنسان وما قاله كأن أعضائه التي فعلت هذه الأشياء وقالتها قد شهدت عليه بها.

وأما قوله (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فإنها أسندت النطق للجلود ولكل شيء أيضا ولا يخفى أنه ليس كل شيء من الأشياء ينطق بالحروف والأصوات بل النطق يكون في كل شيء بحسبه كالتسبيح في قوله تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) وحينئذ فلا تدل هذه الآية دلالة صريحة على أن النطق يكون بالحروف والأصوات كما يقولون.

(الفوتوغراف والراديو والتلفزيون والشريط المسجل مصداق لهذه

(الآيات)

وقد يقال إن نطق الجلود بالحروف والأصوات لا مانع منه أبدا بعد أن رأينا بأعيننا وسمعنا بأذاننا صندوق الفوتوغراف وصندوق الراديو والتلفزيون ينطقون بالحروف والأصوات ويحاكون الأجسام والأشكال والحركات كأنهم من الإنسان مع أنهم صور وأصوات مسجلة أو معادن وجمادات فكيف بالجلود التي فيها نوع من الحياة. على بعض المجالات قد ذكرت أن بعض المخترعين يتشبهون الآن بأن يجعلوا جلد الإنسان ينطق كما ينطق (الفوتوغراف والراديو) حيث أن جلد الإنسان فيه كهرباء يمكن بها أن يجذب الأصوات السابحة في الهواء كما تجذبها كهرباء الراديو فيستعني الإنسان عن الراديو بفرك جزء من جلد جسمه بطريقة مخصوصة تتولد بها كهرباء مخصوصة في الجلد فيجذب ما يريد الإنسان أن يسمع من أخبار وحوادث فينطق بها الجلد كما ينطق صندوق الراديو. وانطباق هذه الآيات على الفوتوغراف والتلفزيون وعلى الشريط المسجل في الراديو وعلى نطق الجلد الذي سيخترع انطباق باهر.

وعليه فإن هذه الآية تكون معجزة من المعجزات حيث أخبرت عن بعض المخترعات الحديثة قبل وقوعها بمئات السنين كما أخبرت غيرها من الآيات عن كثير من المخترعات أيضا مما بينا بعضه في معجزات القرآن عند بحث معجزات النبي (ص) وصدق نبوته في قوله تعالى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وقوله (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) فراجع إن شئت فإن فيه آيات كثيرة مطبقة على مخترعات حديثة.